وصلتها في ساعة متأخرة من الليـل ، واخترت غرفة بفندق صغير يشبه بيتا عائليا ويطـل علي القناة الكبرى ، فلم أنم سوى سـاعتين ، استيقظت بعدهما مفعما بالحيوية ، متلهفا لأن اعانق فينيسيا وأطفيء حرقة قلب ظامىء للقائها .

هأنذا أثـب فرحا فوق جسورهـا التي لا تحصى ، وأطوف كـالمجدوب بكل تمثال من تماثيلهـا ، أو نافورة ماء مـن نوافيرها ، وأغوص في زحـام الفرح الذي يصنعه أقـوام جاءوا مـن شتى بقـاع الأرض ، لينعموا ببهجـة اللقاء فـوق هذا الارخبيل الصغير مـن جزائر الحلم . فأجـد أن الألفة التي تصنعها فينيسيـا قد ربطت بيني وبينهم ، وصرت أتبادل الحديـث معهم في يسر وعفوية ، واشارك في الحفلات الـراقصة التـي يقيمونها حول العـازفين المتجولين ، وأركـب معهم المراكب التـي تأخذنا في نـزهة عبر قنوات المدينة ، وأردد بعـض كلمات الاغاني التي يتفنن الملاحون في ترنيمها .

كنـت قد احترت أن أتجول في دروب المدينـة دون خطـة مسبقة ، مستمتعـا ببهجة الاكتشاف والمغامـرة ، التي سوف تفسدها الخرائط وكتب الـدعاية ، أو حتى الاستعـانة بـالأدلاء والمرشدين السيـاحيين . كنت أركـب العبارة دون أن أعرف وجهتها ، وأمضي مع الطريـق دون أن أعرف إلى أين يفضي ، تثير مخيلتي المشاهد التي ألتقـي بها صدفة ، بما في ذلك سوق الغلال الـذي قادني إليه هذا التوهـان الجميل . فـوقفت ذاهـلا اتفرج على معـروضاتـه وقد تفنـن اصحاب الدكـاكاين والعـربات في رصها وتصفيفها ، وصنعـوا منها أشكالا وتكـوينات فنية ، يراعى فيهـا حساب النسب وتجانس الألوان ومواقـع الأضواء والظلال ، وتتحـول حبات البرقـوق والعنب والطماطـم إلى تحف ذات قيمـة فنية تتجـاوز قيمتهـا كطعام للبطـون . كـان سوق الخضـار هـذا اكتشافـا ، بمثـل ما كـان اكتشـافا مـدهشا ان أجـد نفسي أسير في مـدينة لا تـدخلها السيـارات ، وأن بإمكاني ان اتنقـل حرا بين الأرصفة وأمشي وسط الشـارع ، دون أن أخشى على